



رسالة ملكية إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية

بعث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني برسالة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية، التي عقدت أشغالها بمدينة فاس من 30 نونبر إلى 2 دجنبر 1990 - تحت عنوان «أي إنتاجية ثقافية في المغرب».

وقد تمحورت أشغال المناظرة حول العمل الثقافي بالمغرب، وسبل بعث التراث، وكذا ثقافة الطفل المغربي.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي الذي تلاه مستشار صاحب الجلالة السيد أحمد بنسودة، خلال الجلسة الافتتاحية لهذه المناظرة:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
حضرات السادة والسيدات

يطيب لنا أن نتوجه بخطابنا إليكم في مستهل أعمال المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية، عطفًا على خطابنا الموجه إلى المناظرة الأولى، وإبرازًا لما نوليه للثقافة في اهتماماتنا من رتبة أصيلة وما تقتعده عندنا من مكانة أثيلة.

ذلكم أن المغرب ظل منذ نشأته كدولة حضارية منذ أزيد من إثني عشر قرنا، منارة ثقافية ساطعة الضياء ممتدة الإشعاع على بلادنا وخارجها، ومعلمة حضارية ترتد إليها الأنظار والأبصار وتهتدي بنورها البصائر والأفكار.

أليست جامعة القرويين من أقدم جامعات العالم وأعرقها في ترسيخ العلم وتوطيد العرفان. إليها عبر العصور حج الطلاب من كل حذب وصوب، وعلى حلقات دروسها انتظم على توالي الحقب إلى جانب المسلمين سلك رواد المعرفة من مختلف الديانات، ثم عادوا إلى أوطانهم حاملين إليها آخر ما انتهت إليه الثقافة في مختلف مشارب العرفان من إبداعات.

ولقد كان عهد الظلمات المعروف في تاريخ العالم بالنسبة إلينا عهد الإشراقات والأنوار، إذ كان المغرب بفضل تنوره الفكري مركز إشعاع وحصنا من حصون الفكر الشائخة.

وكل ذلك يقوم شاهدا على أن هذا البلد العظيم، كان على امتداد تاريخه بلد انفتاح يأخذ ويعطي ويتفاعل تأثرا وتأثيرا لصنع حضارة الإنسان، متخطيا بانفتاحه الحدود والحواجر، حدود المكان وحواجر الزمان.

وإذا كان الله قدر لبلادنا جغرافيا أن تقوم جسرا رابطا للقارات، وأن تصبح بذلك ملتقى ومعبدا للثقافات والحضارات، فإن جغرافيته هذه كانت وراء صنع تاريخه المجيد وموقعه الفريد بين تاريخ الأمم ومواقع الشعوب.

ومن جهتنا فممنذ أن أخذنا بمقاليد المغرب وأمسكنا بزمام قيادته واضطلعنا بمسؤولية تخطيط سياسته، انطلقنا من هذا المبدأ كبديهة لا نقاش فيها، فآلينا على أنفسنا أن تظل هذه البلاد وفيه



لتاريخها ، مشدودة الروابط إلى أصالتها ، متصلة الجذور بهويتها ، وفي الوقت نفسه متابعة سياسة الإنفتاح التي طبعتها وميزت تاريخها ، لنقيم على قاعدة هذه الإزدواجية صرح المغرب القديم الجديد في آن واحد . المغرب الذي يعكس صورة الأصالة في أجلى حللها ، ويتقمص المعاصرة في أبهى صورها ، وتتفاعل في تحلية صورته البديعة حسنات الماضي ومنافع الحاضر ، ومنهما يؤمن العبور إلى غد نريده مشرقا ضامنا لنا اقتعاد مكانة مرموقة في مصاف الأمم الآخذة بمنهج التقدم الحضاري العصري ، الكفيل وحده ببقائنا واستمرارنا امتدادا لمسيرتنا التاريخية عودا على بدء وردا للعجز على الصدر .

وبتحقيق هذا الطموح المشروع الذي نعتبره في متناول قدراتنا مادام قد توفرت له في التحام متين إرادة الملك والشعب ، فإننا سنظل نؤدي تلك الرسالة بما عليه نتوفر من مؤهلات فكرية حضارية جديدة ، وهي رسالة نحرص على أن تكون في خدمة التقارب بين الشعوب ، والتعاون مع الأمم بعامة وبخاصة لصالح توطيد التضامن بين الأسر التاريخية الفكرية والروحية التي ننتمي إليها ، أسرة المغرب العربي الكبير ، الذي كان حلم الأجيال السابقة والذي وضعنا لبناته الأولى على أمل استكمال بنياته ، والأسرة العربية التي لانشك في قدرتها على اجتياز حاضرها المضطرب والقفز عليه إلى موالاة مسيرتها لبناء صرح التضامن والإخاء ، والأسرة الإفريقية الذي يدق قلب المغرب على وتيرة نبضات قلبها ، والأسرة الإسلامية التي تستوعب أقدم ما يجيش به قلبنا من مشاعر . هذا بالإضافة إلى ما يربطنا من روابط بجارتنا القارة الأوروبية ، التي نوجد على مقربة أميال منها والتي نأمل أن نحطم ما يفصلنا عنها من حاجز غير حصين ، لفائدة تواصل راسخ مكين .

إن ثقافتنا يجب أن تعكس هذه المعطيات ، وأن تسهم في شدنا إلى هذه المجموعات وأن تستهدف تكوين المغربي ، الذي يحتضن انتماءاتنا الأصيلة والمعاصرة ويتمكن من الإنصهار فيها جميعها في تفاعل يسمح لأطرننا أن تكون قادرة على أداء دورها وطنيا وعالميا . فإن من يملك أكثر من لغة يملك أكثر من ثقافة ، ويستفيد بقدر ما استوعب من ثقافات متنوعة من منافع حضارات تتلاقح وتتكامل وتجعل من ممتلكها الإنسان المشرف على أرحب الآفاق ، القادر على الإسهام في التطلعات الفكرية التي تغمر عالم اليوم الذي أصبح بإحكام شبكة الإتصال بين أجزائه ، أشبه بالقرية الصغيرة الواحدة .
أيها السادة

لقد حققت بلادنا مكتسبات هامة في مجال الثقافة ، وعرفت بلادنا تطورا مهما على الصعيد الفكري والإبداعي وقامت سياستنا على اعتبار الثقافة والفن أداة من أدوات التنمية الشاملة ، وجعلنا من نشر المعرفة بجميع فروعها من آداب وفنون وعلوم جزءا لا يتجزأ ولا يقبل الانفصال عن مفهوم التنمية الشمولي ، وحرصنا كل الحرص على تحقيق لا مركزية ثقافية ، وقمنا في السنوات الأخيرة بإحداث مؤسسات وهيكل ثقافية تضطلع بمهام علمية محددة ، لاشك أنها ستعود بالنفع العميم على مستقبل الثقافة وتحقق المزيد من العطاء للوطن . من ذلك جامعة مولاي علي الشريف بالريصاني المتخصصة في دراسات تاريخ المغرب المعاصر ، وجامعة الشريف الإدريسي بالحسيمة للدراسات المتوسطة ، ومركز الدراسات الاندلسية بشفشاون ومركز الدراسات الغرناطية في وجدة ، ومركز الدراسات والبحوث العلوية بالراشيدية ، والمعهد الوطني للعلوم والآثار ، ومركز صيانة وتوظيف التراث المعماري بورزازات ، والمعهد العالي للفن المسرحي والتنشيط الثقافي والمتحف الوطني للخزف في آسفي ، بالإضافة إلى مؤسسات ومتاحف ومراكز ثقافية وفنية أخرى .



ولقد أعطينا تعليماتنا لوزيرنا في الثقافة للإعطاء عناية خاصة وفائقة بصيانة وبتوثيق تراثنا المكتوب والمحكي والمغنى . وهكذا قمنا بتسجيل موسيقى الآلة الأندلسية المغربية والملحون والغرناطي والموسيقى الأمازيغية ، كما قمنا بصيانة عدد كبير من المعالم التاريخية عبر مختلف أقاليم المملكة . ولا يفوتنا أن نسجل بارتياح ما عرفته حركة النشر ببلادنا من تطور فجر حركة نشيطة في ميدان التأليف ، أبان من خلالها المؤلفون والكتاب المغاربة عن قدرات إبداعية بوات بلدنا مرتبة مشرفة بين الأمم يشهد عليها ما نالوه من استحقاقات وتقدير ، مما يسمح لنا بالقول أنه أصبح لدينا من الرصيد الثقافي ما يؤهلنا لنكون مساهمين إسهاما جديا وقويا في صياغة النهضة الحديثة التي يتأهب لها العالم ، وقادرين على أن نكون فاعلين ومؤثرين في الثقافات العالمية .

وإذا كنا حريصين على ازدهار الكتاب المغربي وتنميته ، فإننا أشد ما نحرص على تشجيع الكتاب والمؤلفين والمثقفين عموما . لذا عرفت بلادنا ميلاد عدة جوائز تقديرية كجائزة الاستحقاق وجائزة المغرب الكبرى للكتاب وجائزة التأليف المشترك . وستعرف المزيد من هذه الجوائز دلالة على ما لنا نحو الثقافة من اهتمام وعناية ، وبرهاننا على ما نوليه للفكر من تقدير ورعاية .

وما أكثر سعادتنا ونحن تعلم اليوم أن الكتاب المغربي قد تجاوز انتشاره حدود المغرب ، ليأخذ مكانة في واجهات المكتبات العربية والإفريقية والأوروبية والأسبوعية ، كما يسعدنا مساهمات المثقفين المغاربة في ندوات الفكر العالمية وحضورهم المثمر في موائد الحوار العالمي ، سعادة لا تقل عن شعور الارتياح لانفتاح المغرب على مختلف تيارات الفكر الوافدة من الخارج ، ذلك لأننا نؤمن بأن الأخذ والعطاء في ميدان الفكر هو المدخل الطبيعي للتواصل بين الأمم والشعوب وهو المعيار الحضاري لتصنيف الدول في دنيا الحضارة والمعاصرة . وكل هذا لا يعفينا من التطلع إلى المزيد من الإنجازات ولا يشينا عن مواصلة عملنا الدؤوب في ميدان الفكر والثقافة لتحقيق خطوات أخرى تقربنا من الوصول إلى الأهداف والغايات .

ولنا اليقين أنكم وأنتم تجتمعون اليوم للتداول فيما بينكم في وسائل الإنتاج الثقافي والصناعات الثقافية وتوظيف التراث وثقافة الطفل المغربي ، وكل ما يتصل بتنشيط الفكر الثقافي ، ستضعون نصب أعينكم الإنسان المغربي الذي هو منطلق كل إصلاح وغايته ، وستأخذون أنفسكم بكل وسيلة قادرة على بحث آفاق التطور المنشود حتى يتحقق للمغرب الإكتفاء الذاتي في مجالات الصناعات الثقافية .

حضرات السادة والسيدات

يسعدنا أن نزجي إليكم مع هذا الخطاب أصدق تمنياتنا بنجاح مناظرتكم ودعواتنا لكم بالتوفيق في أعمالكم ، ونتطلع إلى ماستتهون إليه من اقتراحات وآراء تغنون بها تخطيطاتنا لإقامة صرح ثقافتنا المعاصرة ، التي نريدها في خدمة الأهداف التي سطرناها في هذا الخطاب «وما يعقلها إلا أولو الألباب ، هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وفوق كل ذي علم عليم» .

صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

11 جمادى الأولى - 30 نونبر 1990